من أجل أخلاق عالمية تنقذ الإنسان: رؤية إسلامية

For a Universal Ethics That Can Save Humanity: An Islamic Perspective

[1] د .عباس ظاهري، المعهد العالي لأصول الدين، جامعة الزيتونة تونس.

تاريخ الاستلام: 2026/08/17 تاريخ القبول:2026/10/17 تاريخ النشر: 2026/11/06

ملخص:

تشكو الإنسانية اليوم من توسّع في مجال الانحراف الذي يطال الوعي والممارسة ويهدم ما بنته البشرية على مرّ التاريخ من قيم رفيعة قوامها الإعلاء من مكانة الإنسان وجعله سيّد العالم ومحرّك التاريخ، ويكاد ينعقد الإجماع على أنّ هذا الانحدار الذي تعيشه في الوقت الراهن، مردّه أفول القيم وتراجع المبادئ وغياب الالتزام الأخلاقي، وهذا يعكس المفارقة التي يحياها الناس اليوم: فمن ناحية تتقدّم البشرية أشواطا واسعة في تأسيس لحداثة أداتية وتقنية واضحة المعالم، ولكنها في المقابل تشهد نكوصا وتراجعا كبيرا في الالتزامات الروحية والأخلاقية، ممّا عمّق أزمة الإنسان ووسّع من أشكال حيرته.

ورقتنا البحثية تفكّر في عين هذه المسألة وتحاول أن تؤكّد على أنّ تجاوز أزمات الإنسانية بمختلف وجوهها لا يكون إلاّ باستعادة الفعل الأخلاقي، ولكن هذه المرّة في صيغته الكليّة العالمية من أجل وحدة إنسانية فيها يتعايش الناس، ومن خلالها تضمن حريتهم وكرمتهم، وانطلاقا منها يتأسّس الوجود المتآنس.

إنّنا في هذا المقال نقترح أن يكون الإسلام منطلقا لا للدعوة لأخلاق عالمية فقط، بل أن يشكّل إحدى أهمّ مصادرها، ما دام الإسلام رسالة سلام وتكريم ورحمة للعالمين.

كلمات مفتاحية: أزمة الإنسان، الحداثة، الأخلاق، العالمية، الإسلام.

Abstract:

Humanity today complains of an expansion in the field of deviation that affects awareness and practice and destroys the high values that humanity has built throughout history, based on raising the status of man and making him the master of the world and the engine of history. There is almost a consensus that this decline that it is currently experiencing is due to the decline of values, the decline of principles, and the absence of moral commitment. This reflects the paradox that people are experiencing today:

On the one hand, humanity is making great strides in establishing a clearly defined instrumental and technical modernity, but on the other hand, it is witnessing a major setback and decline in spiritual and moral obligations, which has deepened man's crisis and expanded his forms of confusion.

Our research paper reflects on this issue and attempts to emphasize that overcoming humanity's crises in all their forms can only be achieved by restoring moral action. However, this time, in its universal, holistic form, it is for the sake of human unity in which people coexist, through which their freedom and dignity are guaranteed, and from which a harmonious existence is established.

In this article, we propose that Islam be a starting point not only for calling for universal morals, but also for it to constitute one of its most important sources, as long as Islam is a message of peace, honor, and mercy to the worlds.

Keywords: human crisis, modernity, ethics, universality, Islam.

مقدمة:

ليس في مقدور أحد اليوم أن ينكر هذا الإنحدار الكبير للإنساني والذي تتجلّى معالمه في مختلف الصراعات وأشكال المغالبة المتعدّدة التي باتت تتوسّع بين الناس، وعلى امتداد كامل هذا العالم الذي يسكنونه ويسكنهم الخوف فيه، إنّه إنحدار يرتبط بهذا الخسران الكبير لخصال الإنسان مثل العقل والحريّة والكرامة والتواصل والتسامح وجميع أشكال إلتقاء الإنسان بالإنسان.

ولتفسير هذا النكوص اختلفت أشكال التشخيص فيه، وتباينت حوله رؤى الإصلاح ومشاريعه، هناك مثلا من يذهب إلى أنّ الأمر كلّه يتصل بفشل مشروع الحداثة وآفاقه، حيث أنّ هذا المشروع قد ضخّم من الأبعاد المادية للكائن البشري وأضعف كثيرا طاقاته الإبداعية ورغبته في التأسيس لوجود يقوم على الألفة والتعاون والتفاعل[1]، وهناك من برّر كلّ هذه التراجعات بالاستخدام الإيديولوجي والاستثمار المنفعي للحداثة حيث انقلبت من مساق إيجابي يرتقي بالإنسان ويؤسّس لكماله إلى مساق من السيطرة والهيمنة لا على الطبيعة فقط، بل أيضا على الإنسان الذي بات محكوما بسلطة الأداتية والنفعية[2].

والحقيقة أنّ هناك من يذهب إلى تفسير ما تعيشه الإنسانية من تراجعات إلى اللاعدالة في واقع باتت تسيطر عليه قيم النجاعة والمردودية والربح وتضخيم الثروة دون اعطاء أي اعتبار للقيم والمبادىء الإنسانية مثل الحقّ والكرامة والإنصاف، فطغيان النموذج الاقتصادي الرأسمالي وهيمنة نظام السوق هو ما أدى إلى ما يسمّى اليوم بالتموضع، وما أسّس لسلعنة كلّ شيء وقاد إلى اغتراب الإنسان وتشيّئه[3].

والمؤكد أنّ جميع هذه المقاربات لا تخلو من وجاهة، بل وتحاول أن تفكّك بعمق واقع الترديّ والنقص الذي أصبحت تعيش على وقعه الإنسانية، بل وتحاول أن تكشف عن عمق هذا القلق الذي يساور الناس حول مستقبلهم على هذا الكوكب.

ولسنا هنا لنكون في مقام تنسيب هذه الأطروحات أو الحكم عليها أو لها، بقدر ما نقصد الاستفادة منها واستثمارها ضمن المقاربة الجديدة التي نقترحها - ضمن هذا البحث- والتي نبنيها على قناعة نؤمن بها، وهي أنّ التأسيس لعالمية إنسانية رفيعة لا يكون إلاّ عبر الأساس الأخلاقي، أي انطلاقا من إحياء قيم الخير والفضيلة والتعاون والصداقة كأسس جوهرية يبنى عليها الإنسان في كيانه وأفعاله ومقامه البيني أي في وجوده مع الآخرين.

نحن لا نقبل بهذا التشاؤم الذي يسيطر اليوم على بعض التوجهات القائلة بـ " موت الإنسان" وانتصار التقنية والمنفعة عليه، ولسنا أيضا من المتفائلين جدا بإمكانية إنقاذ الإنساني من مطبّاته وانهياراته وانحداره، لأنّنا نعتبر أنّ معالجة هذه التحدّيات لا تتأسّس بالخطابات الحالمة أو بتأمّلات النخب التي تغترف من الطوبى[4] .

وعلى هذا لن نقدّم حلا للمسألة قبل أن نفهمها بعمق ونتبيّن هذا المفارقة التي نراها اليوم في عالمنا وهي مفارقة "التقدّم في التقهقر" والتي لا يشعر بها الناس نتيجة اكتفائهم بظواهر الأشياء وانغماسهم في سعة الحيوي، وهذا ما يقتضي عملية إصلاح شاملة لا تركّز على الواقع والتاريخ بقدر ما تهتم بالإنسان في جوهره باعتباره هو من يعطي للواقع معنى ومن يحرّك التاريخ، إذ عندما يتمّ بناء الذات البشرية على أسس صلبة ومتينة تحصل الثقة بعد ذلك في القادم من التاريخ.

وعلى هذا الأساس اخترنا أن نبحث في المسألة من زاوية التركيز على الأخلاق والأخلاقية أي على القناعة بالقيم وممارستها حيث لا نرى مخرجا غير استعادة الضوابط الأخلاقية لا من جهة كونها مشتقة من تجربة خصوصية ترتبط بنظام هذا المجتمع أو ذاك ، ولا متصلة بحرية الأفراد ومشاريع وجودهم[5] ، بل من حيث كونها منظومة من التوجيهات ذات الطابع الكليّ والشمولي والإنساني، لقد كان ابن مسكويه مثلا واحد من دعاة هذه الفكرة حيث فكّر في الأخلاق في بعدها الكوني ومن جهة كونها طريقا للسعادة أوما أسماه هو " الفوز"، ومثّلت مقاربة كانط كذلك في الفترة الحديثة تأكيدا على أهمية الواجب الأخلاقي الكليّ الذي يرقى إلى مستوى القانون المنظّم لسلوك الإنسان مطلق الإنسان كمثل ما ينظّم القانون الطبيعي الأشياء في عمومها ، وتعتبر دعوة هانس كونغ لأخلاقية عالمية أحد أبرز التعبيرات عن هذا المطلب في القرن العشرين وما بعده[6] ، وفي هذا تأكيد على أنّ صلاح وضع البشرية لا يتمّ إلاّ عندما يجتمع الناس على نموذج أخلاقي واحد منه يأخذون الفضائل ويتحصّنون ضدّ الرذائل ويؤسّسون لما أسماه أرسطو قديما " الوجود الخيّر والسعيد".

وحين نعتبر الأخلاق العالمية خلاصا للبشرية من آلامها وعذاباتها فإنّنا ننظر لهذه الأخلاق العالمية من جهة

روافدها وأسسها ونؤكد في هذا السياق على ما في الإسلام كعقيدة وشريعة ما يدعو إلى هذا التوجّه وما يساعد على تأسيس الرسالة الإسلامية ليست ذات طابع محلّي وليست متصلة بعرق أو شعب محدّد، بل هي كما هو معلوم رسالة إلى الإنسانية جمعاء دون تفريق على أساس اللون أو اللغة أو المنبت الثقافي، فالقرآن الكريم لا يخاطب فردا بعينه ولا شعبا برموزه الخاصة، وإنّما يتجه إلى العالمين أي عموم البشر على امتداد التاريخ والجغرافيا.

فاختيارنا للإسلام كموقف يدعو لأخلاق عالمية يرتبط أساسا بطبيعة الدعوة الإسلامية الكونية، وتركيزنا على الإسلام كأساس لأخلاق عالمية ينطلق من قناعتنا بأنّه دين وعظ وإرشاد وهداية مصداقا لقوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: 9] ، وليست دعوتنا هذه مبنية على حجج خطابية نريد من خلالها تفضيل الإسلام أو الإعلاء من شأنه بل مقامة على حجج برهانية أساسها أنّ الإسلام دين يعنى بالإنسان ويهدف إلى تكريمه كما جاء في الكتاب العزيز ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70].

ولتحقيق هذا المطلب كان لزاما أن نعتمد على آليات منهجية تسمح لنا بتفكيك المسألة وفهمها والبرهنة عليها، وهو ما قادنا إلى الاعتماد على الأسلوب الاستقرائي حين تعلّق الأمر ببيان أسس الأخلاق العالمية من منظور إسلامي، وعلى المنهج التاريخي حين ارتبط الأمر بالكشف عن جذور الدعوة إلى الأخلاق العالمية وامتدادها في ماضي البشرية، والآلية التفكيكية حين اتصل الأمر ببيان التقاطع بين ما دعا إليه الإسلام وبين ما جاء في مقاربات الفلاسفة وعلماء الإجتماع والأنثروبولوجيا، ومثل هذا الأسلوب هو الذي قادنا إلى تفريع إشكاليتنا إلى مبحثين وخاتمة:

في المبحث الأوّل ركزّنا على جذور فكرة الأخلاق العالمية والحاجة إليها راهنا، وفي المبحث الثاني بيّنا أسس الدعوة الإسلامية لأخلاق عالمية ورهانها المتمثل في تحرير الإنسان من الضياع وإنقاذه من الأزمة والانحدار، أمّا الخاتمة فجعلناها مجالا لاستخلاص النتائج وتقديم بعض المقترحات من أجل مزيد التفاعل أكثر مع مشكل الأخلاق وعالميتها ومساهمة الإسلام فيها.

المبحث الأول: أصول الدعوة إلى الأخلاق العالمية والكونية

حين نعود لسيرة الإنسان وتاريخه في هذا العالم ندرك أنّه كائن الرمز والتأويل حيث لم يكتف بالعيش في هذا العالم على نحو من الحضور المباشر بل أسّس أيضا عالما من الدلالات والمعاني والمقاصد حيث بنى العمران على الأرض وأقام التمثّلات والأحكام في الذهن، ومن أبرز هذه المنظومات الفكرية والرمزية التي أسسها البشر " الأخلاق " من حيث هي مجموعة الأوامر والنواهي والظوابط التي تعرّف الإنسان كيف يفعل وما يجب عليه أن يقوم به من أجل الوصول إلى الخير والفضيلة والسعادة.

فقد حفلت الأساطير المختلفة بنماذج أخلاقية ومثّلت إلى حدّ ما توجيها وإرشادا للقيم تارة من خلال التركيز على ضرورة التشبّه بالآلهة وأخرى من خلال نصب المثال على الأخلاقية الرفيعة وتطهير النفس وتزكيتها انطلاقا من استحضار قصص الأبطال وأنصاف الآلهة[7].

ولم تخل تجارب التديّن المتعدّدة والمتنوعة من الوعي بسؤال الأخلاق فضلا عمّا تضمنته هذه التجارب من معاني التشريع والتنظيم، ومن ضروب التأسيس للاعتقاد والإيمان، فقد استحضرت مسألة القيم في ارتباطها بخلاص الإنسان من كلّ الشرور الممكنة ودفعه نحو آفاق الصلاح من خلال التأسيس لوازع أخلاقي مركوز في النفس البشرية يساعد الناس على الاهتداء إلى سواء السبيل.

وهذا يفهم من خلال ثراء الرمز الديني وعمق محتوياته، فهو لم يرسم فقط حدود الروابط بين الإنسان والإله أو بين التاريخي واللاتاريخي، بل أيضا تضمنت الأديان معان أخلاقية على البشر الوعي بها واعتمادها ضمن روابطهم الواقعية كما نشهد ذلك بوضوح في الوصايا التوراتية أو في تعاليم المسيح من خلال البشائر الأربعة أو كما يتجلى لنا في القرآن الكريم الذي جاء إكمالا للأخلاق وإتماما للنعم ومن أبرزها نعمة العيش الخيّر والسعيد [8].

على هذا تصبح الدعوة إلى الإلتزام الأخلاقي الكلّي والضروري الكوني قديمة قدم الإنسان وأنّ استحضارها الآن ليس إلاّ رغبة من تعميق المسألة وفتح آفاقها المتعددة، لا سيما عندما يتعلّق الأمر بأهمية التجربة الأخلاقية لا فقط من جهة اعتبارها مجموعة المعايير التي تضبط السلوك، بل انطلاقا من جهة اعتبارها أيضا مشروع توحيد للإنسانية ومقاومة كلّ مظاهر ارتدادها إلى الحيوانية كما هو بيّن في تراث الأغارقة بدءا بأفلاطون مرورا بأرسطو وصولا إلى التيارات الرواقية والأبيقورية [9].

ورغم اهتمام فلسفة الحداثة بمسائل الكينونة ونظام المعرفة وأطرزة اشتغال العقل فإنّها لم تغفل بدورها مسألة الأخلاق حيث وضعت لها حيزا مهما في مباحثها وخاصة في سياق الفلسفة الألمانية مع كانط الذي اعتبر أنّه من الضروري جدا أن نعيد التفكير في أسس القيم الأخلاقية وفي طبيعة علاقتها بالعقل والإنسان حيث انتهى إلى نقد التصورات الأخلاقية النسبية أو تلك المنظومات القيمية التي تربط الإلتزام الأخلاقي بالنتائج معتبرا أنّ الأخلاقية الحقيقية هي أخلاقية المبدأ وطاعة الواجب من أجل الواجب.

وما يهمنا من المنظور الكانطي هو أنّه يعتبر أنّ الأخلاق لا يمكن أن تكون إلاّ منظومة عالمية وكونية يشترك فيها الناس جميعا بقطع النظر عن المكان والزمان، فمع كانط تحديدا يبدأ التأسيس فعليا لنظام أخلاقي كوني له رهان أساسي هو توحيد الناس على قيم الخير والفضيلة وعلى مبادىء السلام الدائم وعلى أساس مبدأ التظايف أي قبول الآخر والتعامل معه كما لو كان غاية واحترامه لكونه إنسانا يحضى بالكرامة[10].

ومثل هذه الفكرة التي أكّد عليها كانط هي التي أصبحت في ما بعد دائرة إنشغال واسع لعدد غير قليل من الباحثين في العلوم الاجتماعية وتاريخ الأديان والفلسفات الأخلاقية والسياسات العالمية.

وليس في إمكاننا هنا أن ننكر كلّ تلك الجهود التي بذلها المفكر والباحث في الأديان السويسري هانس كونج والذي ركّز كلّ اهتمامه على إمكانية التأسيس لحالة مثلى من السلام في العالم انطلاقا من بناء ما يسمّيه الأخلاق العالمية، فمع كونج يزداد التأكيد على ضرورة إنشاء القيم الأخلاقية الكونية انطلاقا ممّا يسميه التصالح بين الأديان في العالم وهو ما لا يتحقق إلاّ عبر تشجيع أشكال التفاعل بين هذه الأديان، ومثل هذا التقارب بين الشرائع والتجارب الدينية المختلفة لا يكون ممكنا إلاّ انطلاقا من التأسيس لمنظومة أخلاقية شمولية تجمع الناس كلهم وتساعدهم على أن يحوّلوا الأرض إلى وطن مشترك وعندها تحديدا يوقفون العنف ويمنعون أشكال الاستعداء ويتقدّمون حثيثا نحو التأسيس الفعلي لعالم إنساني واحد لا أثر فيه للحرب أو المغالبة ولا وجود فيه لأشكال التقاتل أو الميل إلى الهيمنة [11]

وهكذا يمكننا التأكيد على أنّ العلاقة بين الإنسان والأخلاق جدّ وطيدة، بل إنّ الدعوة إلى وحدة القيم ومعايير الفضيلة يرتبط بمقصد أو رهان رئيسي لاسيما في هذه المرحلة من تاريخ البشرية التي تشهد انحرافا واسعا عن المبادىء وتهدّد بشكل كبير كلّ ذلك التراث القيمي الذي بنته الشعوب على مرّ التاريخ بل لعلّه يهدّد أيضا مطلب العيش المشترك والوجود المتنوع والقبول بالاختلاف والمغايرة .

إنّ واقع البشرية اليوم هو واقع الخوف من المستقبل، وكلّ الدعوات إلى إصلاح ما فسد تكاد تركّز في وجوهها على الذهاب بالإنسان نحو الوحدة التي تتجلّى على الأقلّ في مستوى القيم والمبادئ، في محاولة لإنقاذ حقوق البشر جميعا والتأسيس لعدالة أو على الأقل شكل من أشكال الإنصاف يساعد الأمم المختلفة على إقامة إيلاف مع المحافظة على اختلافها وتنوعها.

وهذا الإيلاف لا يمكن أن يتحقق إلاّ بأسس أخلاقية جامعة ما دامت الجهود السياسية ومحاولات بناء الكونية من قبل الفلاسفة وقادة الرأي قد باءت بفشل ذريع تشهد عليه اليوم إمّا جنوح الثقافة الواحدة للسيطرة على الجميع أو توسّع دوائر العنف وما يسمى الحروب المقدسة التي تظهر بين الحين والآخر كردّة فعل ضدّ أشكال الهيمنة التي تتحوّل اليوم إلى نوع من العنف الذي بات يعصف بحقّ الشعوب في أن تحتفظ بهوياتها الخاصة مع أملها في التأسيس لعالمية مثمرة يجني الجميع نتائجها على الأقل على الصعيد القيمي المرتبط بالدفاع عن كرامة الإنسان وحقّه في أن يكون مواطنا عالميا يتساوى مع بني جنسه في الحقّ والواجب وفي أن يشعر بأنّ هذا الكون هو عبارة عن وطن للجميع يشترك فيه سكّانه في القيم الأخلاقية والمبادىء الرفيعة ويحافظون في الآن نفسه على اختلافاتهم الإيجابيةكمعين وروافد لإنشاء الثقافة العالمية[12].

وإنّ هذا الفشل في التقدم على درب بناء الوحدة الإنسانية الإيجابية هو ما يفسّر تمسّكنا بأن نجعل من الأخلاق وتحديدا في بعدها الكوني السبيل المؤدي لإنعاش الأمل في وعي جامع بإمكانية استعادة الإنساني

وتحصينه ضدّ كلّ أشكال النكوص والخيبة وانسداد الآفاق التي باتت تهيمن على الفكر البشري بل وتمثّل عائقا أمام تدفّق المقترحات لاستعادة المشاريع التي تتغنى بالوحدة والتسامح والسلام[13] .

وتبعا لكلّ هذه الاعتبارات يمكننا الإشارة إلى أنّ الدعوة إلى الأخلاق الكونية ترتبط بمجموعة من المقاصد والرهانات الجوهرية والتي يمكن حصرها في المستويات التالية:

- إنشاء منظومة قيمية عالمية والاتفاق على اعتمادها وتداولها يمكن للإنسانية أن تحقق أقصى درجات التقدّم على درب حماية كرامة البشر وحقوقهم والتأسيس لإطار جامع للبشر على اختلافهم يمكن أن يشكل ضمانة حقيقية للتعايش والتسامح والحوار بين الحضارات المتنوعة .
- التوجّه نحو التقليص من الفوارق بين الشعوب من خلال ترسيخ قيم التعاون والتآزر بين سكان الأرض بما يؤسّس لمبدأ العدالة والإنصاف ويخفّف من حدّة التصادم والعنف
- التأسيس لمنظومة أخلاقية كونية من شأنه أن يكون بديلا لتعدّد المعايير وتنوع الأسس لما يعتبر مشتركا بين الناس جميعا، إذ عندما نجمع الناس على مجموعة من المبادىء والفضائل نكون قد أسّسنا لسلوك بشري رشيد يساعد البشرية على إيجاد أرضية مشتركة من خلالها تتجاوز البشرية كلّ آلامها وعذاباتها وتحدياتها.

المبحث الثاني: أخلاق كونية : رؤية إسلامية

عندما نعود إلى أصول الإسلام ونصوصه التأسيسية سواء القرآن الكريم أو السنة النبوية بمختلف مراتبها، نجد أنّ هذا الدّين يشكّل رسالة تحمل مضمونا يتجّه للناس كلّهم أينما كانت مواقعهم الجغرافية ومهما اختلفت أصولهم العرقية أو رموزهم الثقافية المتعددة.

فالإسلام لا يخاطب شعبا بعينه أو أمة محدّدة وإنما يتجلى كخطاب يحاور الإنسان مطلق الإنسان، ويدفعه إلى الفعل الخلاّق والإبداع في الكون من منطلق تحمّله لمهمة الاستخلاف ووعيه بجسامة هذه المسؤولية من جهة اعتبارها مقاومة ودرءا للمفاسد المختلفة وسعيا نحو ما يفيد الجنس البشري بإسناد من الله تعالى الذي يريد لعباده الخير والفضيلة والرفعة[14].

والناظر في التصوّر الإسلامي للأخلاق يكتشف بوضوح أن هذه الأخلاقية التي يؤسسها ويدعو إلى اعتناقها غايتها الأولى العودة بالإنسان إلى فطرته الأصلية ودفعه إلى مقاومة الانفعالات التي قد تفضي إلى كل الشرور الممكنة وتعطل روح الإبداع وتحدّ من قيم الخير والفضيلة.

لقد جاء في السنة النبوية ما يفيد على أنّ الأساس المتين والركن الركين لرسالة النبي محمد عليه السلام تتمثل في إتمام مكارم الأخلاق وهو ما ورد في مسند الإمام أحمد وفي الأدب المفرد للإمام البخاري في الحديث المروي عن أبي هريرة في تأكيده صلى الله عليه وسلم على أنّه قد أرسل لتحقيق كمال الأخلاق الإنسانية حين صرّح بالقول: بُعِثتُ لأُتَمِّمَ صالِحَ الأخْلاقِ "[15].

فإلى جانب أنّ الاخلاقية التي يدعو الإسلام إلى اعتمادها هي هذه الأخلاقية التي تكرّس تمام الإيمان وكمال الاعتقاد إذ يتفاوت الناس في قناعاتهم العقائدية ليبقى الملتزم بالأخلاق أعلاهم مرتبة وهو ما تشهد به السنة النبوية ويؤكده الحديث الذي يعتبر أنّ :" أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلقًا "[16] وما يهمنا هنا أنّ الإسلام يقدّم للبشر نموذجا أخلاقيا يساعدهم على تجسيد إنسانيتهم وتكريسهم لوجود يخلو من كل سلبية ويساعدهم على التحرر من سلطة الغريزة والشهوة ويدفعهم نحو كلّ اشكال التعاون حتى يتمكنوا من البقاء على قواعد النظام وأسس السعادة القصوى.

إنّ الدعوة الأخلاقية الإسلامية تراهن على أن يعي الإنسان طبيعته ويدرك أنّه مكوّن من بعدين الجسم والروح ومن الظروري أن يتحقق التوازن بين هذين البعدين حتى يستطيع الإنسان أن يعيش دنياه بكلّ مطالبها الحيوية وأن يستحضر أيضا بعده الروحاني المرتبط برقيه الأخلاقي الذي يساعده على تجسيم حقيقته الإنسانية البعيدة جدا عن مراتب الحيوانية وعن أشكال التشيؤ التي باتت تسيطر اليوم على الواقع البشري بفعل هذا التفكير المتزايد بالحضارة الغربية التي تركز على المادي والنفعي والأداتي في حين تغفل أو تتناسى الجوانب الروحية والقيمية والأخلاقية[17] .

وعليه لا تخلو الدعوة الإسلامية للأخلاق العالمية من مقاصد وأهداف ترتبط جوهريا بإعادة تأسيس للحياة الإنسانية السليمة والحقيقية بعدما نالها ما نالها من أشكال التراجع وبعد أن وصلت مرحلة خسر فيها الإنسان نفسه حيث تحوّل إلى آلة أو آداة إنتاجية ،وحصل له ما يسمى بالضياع والاغتراب، فما يريده الإسلام في دعوته الأخلاقية هو أن يتحرّر الإنسان في كلّ العالم من كلّ دوافع الكراهية والعدوانية والأنانية وشتى أشكال استغلال الإنسان للإنسان وكلّ ضروب الاعتداء على الطبيعة وإفساد نظامها .

الأخلاق من منظور إسلامي ليست مجرد شعور لا يتجاوز الضمير أو المعيش النفسي الداخلي وهي أيضا ليست سلوكا ظرفيا يتعامل معه الإنسان على نحو من النزوة أو يمارسه عند الحاجة، بل إنّ القيم الأخلاقية الإسلامية تستمد قيمتها من كونها مجموع من المبادىء والقناعات والأسس الثابتة التي لا يجب أن يحصل فيها أن تبديل أو تحول، إنّها ببساطة الأصل الضامن لسير الإنسان الحثيث نحو الفضائل والكمالات، والمعيار الراسخ الذي من خلاله يكون الإنسان فعلا إنسانا يحفظ ذاته من الانحرافات، ويعامل الآخرين على نحو من التقدير والاحترام ويحافظ على علاقات الألفة بين الكائن البشري والطبيعة ويسير على الاعتدال في كلّ أفعاله بعيدا عن أشكال المغالاة أو التطرف أو المثالية المجردة.

فللإنسان من منظور إسلامي صورة واضحة المعالم وجوهر ثابت لا يمكن الانحراف عنهما وهو ما يسميها الإسلام ب"الفطرة" ذات الطابع المشترك التي تنطبق على الناس كلهم في العالم، وعند الالتزام بها تختفي الرذائل ويأفل الشرّ وتنبجس منابع الخير والصلاح والفضيلة.

ليس أمام الإنسانية اليوم إلاّ أن تثوب إلى رشدها فتتحلى بالقيم الرفيعة وأن تقلع نهائيا عمّا يفسد هذه الفطرة وهو ما لا يكون إلاّ بما يسميه الإسلام:" الإيفاء بالعهد والعقد بين الله سبحانه وبين عباده"، على أن يؤمنوا به ويسيروا وفق هديه وأن يعملوا على تطهير نفوسهم وضمائرهم من كلّ الشرور الممكنة، إذ لن يتم إعمار الكون ماديا بإنجاز التقدّم والتطور وروحيا بتوسيع دوائر التواصل وإيقاف طبول الحرب ومنع أشكال الإستعداء على الآخرين إلاّ عندما تكون الأخلاق بما هي مجموع المبادئ العليا هي أساس الاحتكام وميزان الحكم على الأفعال، وهذه الأخلاق هي التي يكون مصدرها الله الخبير بعباده المريد لهم الوجود الإنساني الكامل والسعادة في الدارين، وهو ما يتجلى بوضوح في قوله تعالى ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38]

واضح إذا أنّ الإسلام يعرض على البشرية منهاج سلوك يحرّرها من الرذائل ويرفعها إلى مراتب إنسانية انطلاقا من مقاومة كلّ أشكال الظلم والاستغلال وغياب الحرية.

وهذا يعني أنّ الرؤية الأخلاقية الإسلامية ليست ذات طابع نسبي أو محلّي، بقدر ما هي ذات طابع كوني لا في معنى دعوة الناس جميعا إلى الالتزام بها، بل أيضا في معنى الأخذ بكلّ ما هو معبّر عن الخير والفضيلة عبر التاريخ البشري، ولهذا جاء في الحديث كما أسلفنا قوله صلّى الله عليه وسلّم : " إنّما بعثت لأتمم صالح الأخلاق" في اعتراف واضح بأنّ الأخلاق الإسلامية التي يعرضها علينا القرآن هي جزء من مسار تاريخي هدفه الوصول إلى الخير الأسمى والفضيلة العليا.

فالرؤية الإسلامية لا تنفي القيم الأخلاقية التي اعتنقتها البشرية منذ أن وجدت في هذا العالم وهو ما نفهمه من خلال السياقات القرآنية التي أشادت بالنماذج السابقة لمنظومة القيم ومعايير توجيه السلوك نحو الفضائل مثلما هو واضح عند الحديث عن الأنبياء كإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم حيث عبروا على ذلك النداء بفعل الخير والالتزام به واحترام كرامة الإنسان حتى وإن كان مخالفا لهم أو انطلاقا من تثمين أفعال السابقين المؤدية إلى الفضيلة كما هو الأمر في وصايا لقمان لإبنه وهي وصايا شديدة الارتباط بتطهير النفس وتزكيتها الأخلاقية، سواء تعلق الأمر بعلاقة الإنسان بذاته أو بالآخرين أو بالعالم، مثل هذه الوصايا هي التي تمنع الكائن البشري في كلّ زمان ومكان من الانحدار نحو الرذيلة.

إنّ هذا التأكيد على أهمية التجارب السابقة يكشف لنا على أنّ الأخلاقية الإسلامية هي بناء فوق البناء واعتراف بمجهودات البشرية في الارتقاء والسمو الأخلاقي، إنّ الأخلاقية الإسلامية هي تحديدا هذا المنهج الشامل الذي يؤكد الإنساني في الإنسان، ويعبّر على أنّه كلّما إلتزم الإنسان بالقيم والمبادىء كلّما ارتقى أكثر في مراتب البشرية.

وعلينا أن ندرك أنّ الطابع الكوني للأخلاق الإسلامية يتأسّس على أنّ هذه الأخلاق ليست واجبات تفرض أو إلزامات قسرية، وإنّما هي عبارة عن دعوة تتجه إلى العقول والقلوب والوجدان لتستقرّ في أعماق الضمير البشري وتساعده على شقّ طريقه الآمن نحو ما يرغب فيه الناس من الخير والفضيلة وحسن

المعاملة وقبول الآخر والتسامح معه والتوافق على المشترك واحترام كرامة الإنسان وتثبيت رفعة مقامه وعلوّ جنسه[18].

ثمة ملمح آخر لابد من التأكيد عليه في هذا التصوّر الكوني للأخلاق من منظور إسلامي وهي التأكيد على أنّ القيم و المبادئ الروحية تمثّل الضمانة الأولى لإصلاح حال البشر ودفعهم إلى الاستقامة إذ لا يتقدم الناس على درب الفضيلة بما يضعونه من تشريعات أو بما يمارسونه من سلطات أو قوة مادية أو قانونية، إذ ما يبنى على الخوف وعدم القناعة يمكن أن يزول حين تتلاشى الغلبة أو تضعف شوكة السلطان، لكن ما يثبت في العقل قناعة وفي الوجدان أساسا وفي النفس مبدءا لا يمكنه أن يضيع أو يغيب، وهنا يقوم المنظور الإسلامي على أنّ للأخلاق فاعلية كبيرة في تهذيب سلوك الإنسان وفي تطهيره من كلّ ألوان الكراهية والبغضاء والأنانية.

ثم إنّ التأسيس القيمي هو ما يؤسس لمعاني التضامن والتكافل والوحدة التي تحتاجها البشرية اليوم بعد أن سيطرت أشكال تمرّد الفردية العينية وطاغت المعاني السلبية للحرية كهياج هدام دون ضابط، وبعد أن إنتصرت قوى الفكر التفريقي على خطابات الوحدة والاجتماع، ليست للأخلاق أيّ نجاعة ما لم تكن قناعة مركوزة في القلوب، وما لم تكن سلطة تنبع من أعماق الإنسان فيخضع لها بكلّ إرادة.

إنّ المنظورية الأخلاقية الإسلامية تريد أن يكون التخلّق مبدأ والتزاما مستمرا لا إمكان فيه للنكوص أو التراجع، إذ عندما يتحرّر البشر من الانفعالات السلبية والدوافع الشهوانية يتحقق فعلا المعنى الحقيقي للإنسان فيختلف عندها عن جميع الكائنات الأخرى كالأشياء التي لا فهم ولا إحساس ولا شعور لها، أو الحيوان الخاضع أصلا للغريزة العمياء، هكذا نفهم لماذا أقام الرسول عليه السلام أسس الاجتماع في المدينة على قيمة المآخاة قبل أن يبنيها على التشريع الذي هو في الأصل مرتبط بمبدأ أخلاقي رفيع هو التعاقد[19].

وإجمالا يمكننا التأكيد على أنّ الإنسانية اليوم تشكو نقصا فادحا في مجال القيم على الرغم ممّا تعرفه من تقدّم وتطوّر على صعيد التقنية وأشكال الإزدهار والرخاء الاقتصادي ونمط العيش والحياة، وهذه المفارقة الواضحة تستدعي تدخلا قيميا وأخلاقيا لا يمكن أن يكون إلاّ شموليا وعالميا وكونيا، فالانحدار الواضح لا يتعلّق فقط بشعب أو أمّة أو جزء من البشر بقدر ما يمسّ مطلق الجسم الإنساني الذي بات يحتاج إلى تدخل ضروري من أجل إستعادة الحياة الإنسانية في طابعها الآدمي ولصورتها الإنسانية المشرقة.

ومن هذا المنطلق نعتبر أنّ الإسلام يشكّل برؤيته الأخلاقية حلاّ لما يعانيه النّاس اليوم من تراجع قيمي واضح تتجلى معالمه في ما يعيشه الناس اليوم من عزلة واسعة ومن انقطاع مباشر عن بعضهم ومن تصادم واسع بينهم، يظهر في هذه الحروب الواسعة وفي أشكال المغالبة الممتدة على كامل الأرض وفي

محاولات الهيمنة وفرض الرأي والموافقة التي أصبحت مسيطرة الآن وهنا بفعل غياب رؤية أخلاقية تؤسّس لتعايش مشترك وسلوك إنساني رشيد يتعالى عن كلّ الانفعالات ويتخلى عن الرغبة في الهيمنة المرتبطة بالمنافع الآنية.

فالإسلام يقدّم رؤية أخلاقية كونية أساسها أنّ البشر لا يرتبطون فقط على نحو من تحقيق المنافع ومقتضيات العيش بل إنهم يجتمعون أيضا على معنى المسؤولية المشتركة وعلى معنى الحساب في العالم الآخر وفق ميزان العدالة الإلهية التي تحاكم الإنسان من منطلق أفعاله وإلتزامه ومسؤوليته تجاه ذاته وتجاه الآخرين مصداقا لقوله تعالى ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: 39] وتأكيدا لخطابه تعال ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: 110]، إذ خيار الإنسانية هو أن تشهد على أنّه لا صلاح لها إلاّ بمنظومة قيمية كونية تتأسس على معاني المعروف أي الإنشداد إلى الخير والفضيلة وتجنّب كلّ منكرمن شأنه أن يضرّ بقيم الصدق والأمانة والتسامح والودّ الذي أصبحنا نفتقده اليوم ونرى فيه أملا نسعد بتحقيقه.

خاتمة

بعد أن نظرنا في المسألة الأخلاقية من ناحية شروط الإمكان ونتائج الإلتزام بها، وبعد أن دققنا مسألة الأخلاق العالمية وأصولها وجذور الدعوة إليها وبعد أن طرحنا رؤية الإسلام للأخلاق الكونية ومستلزماتها وإمكانية اعتبارها حلا ينقذ البشرية من أزمتها ذات الطابع الروحي والأخلاقي، وبعد أن كشفنا على ممكنات تحويل المنظور الأخلاقي الإسلامي إلى نموذج إرشادي عالمي ننتهي الآن إلى النتائج والاستخلاصات التالية، والتي صغناها في شكل توصيات إذ من شأنها أن تفتح ضروب التفاؤل مع مقالنا هذا أو أن تستأنف النظر من زاوية أخرى في عين هذا المشكل تعميقا للطرح وتعميما للفائدة ومن هذه الاستخلاصات نذكر:

- ضرورة إيلاء المشألة الأخلاقية عميق الاهتمام من جهة اعتبارها قضيّة مشتركة بين أنماط الخطاب الإنساني كالأساطير والأديان والفنون والفلسفات وحقول النظر الأنثروبولوجي والقانون والإجتماع من ناحية، ومن جهة اعتبارها أحد الحلول الممكنة والعميقة لمشكلات البشرية المتنوعة ذات العلاقة بمستقبل الإنسانية وبجميع الشروط التي تساعدها على إعادة إنتاج وجودها الكامل والرفيع.
- لزوم التفاعل حول ممكنات الأخلاق العالمية وشروط تحققها في ظلّ حرص البشرية اليوم على تعميق المشترك بينها ومواجهة هذه العالمية المخادعة التي تنتصر للسوق والتقنية والنجاعة

والفائدة على حساب القيم والمبادىء والأخلاق، وهو أمر يتجلى اليوم بشكل واضح في كتابات الرافضين للعولمة ومنظومة قيمها الجديدة.

- استنهاض قدرات المفكرين المسلمين المعاصرين ووعيهم للتعريف بمنظومة الإسلام الأخلاقية وطرحها للتداول مع المختلفين من أجل تحويلها إلى مقترح عالمي له وجاهة المساهمة في التأسيس لقيم أخلاقية كونية هدفها الأساسي الدفاع عن الإنسان وحمايته من شتى أشكال التراجع وتحريره من الخيبات والضياع والاغتراب ودفعه نحو الوعي بمسؤوليته تجاه الإنسانية
- الدفع باتجاه جعل المسألة الأخلاقية درسا في المؤسسات الجامعية التي تعنى بالعلوم الشرعية من أجل تمكين الطلاب من معارف تساعدهم على الدعوة للأخلاق الإسلامية كنموذج قيمي يراهن على تحرير الإنسان ودفعه إلى الإبداع ومساعدته على حسن التعايش من اخرين من أجل نظام كوكبي يحترم رفعة الكائن البشري ويؤسس لتكريمه ويساعد على مقاومة نزعات الأنانية والإنغلاق وأشكال المفاضلة بين الشعوب وهو ما يمثل في اعتقادنا مطلبا ضروريا الآن وهنا.
- العمل على ترجمة أعمال المفكرين المسلمين المهتمين بالمسألة الخلقية في الإسلام حتى يتمكن المختلف من الإطلاع عليها والتعامل معها على نحو علمي مجرد من الأهواء وبعيدا عن موقف التخويف من الإسلام الذي يدعو إليه أنصار الفكر التفريقي أو أولئك الذين مازالت تحركهم عمق الإصطفاء والمبررات غير العلمية بإدعاء المركزية الثقافية والتعالي عن تجارب الشعوب والأمم الأخرى.

الهوامش

[1] مثّل هذا التفسير للإنحدار مشغلا رئيسيا لمدرسة فرانكفورت الألمانية وشكّل نقد أدرنو وهوركايمر أبرز أعلام هذا الإتجاه الناقد لمسارات التحديث وخاصة لطغيان التقنية أو التكنولوجيا

انظر هنا خاصة: Horkheimr+Adrnoo. La dialectique de la raison ; pp234-238.

[2] هذا عين ما يقرّره هابرماس حين يُرْجِعُ تراجع التواصل ولواحقه لا إلى فشل مشروع الحداثة في حدّ ذاته بل تحديدا إلى أمراضها الجديدة التي أضرّت الوعي وهو ما يدعو إلى إعادة التأسيس أملا في مستقبل بشري مثمر قوامه الحقيقة والحرية والتفاهم ومقاومة كلّ عنف.

انظر هنا : Habermas ; Morale et communication; pp 75-80.

[3] هذا هو في الحقيقة مضمون النقد الذي يوجهه هاربرت ماركوز في ما يطلق عليه "النيو ليبرالية" وارتداداتها السلبية على المجتمع والسياسة والسوق وعلى الإنسان الذي أصبح ذا بعد واح، قارن ما قلناه مع كتاب: الإنسان ذو البعد الواحد: ماركوز هربرت: ، ترجمة جورج طرابيشي.

4 لمزيد فهم ما قلناه بخصوص رفع تحدي الاغتراب الإنساني يمكن العودة تحديدا إلى مؤلفات إدغار موران وخاصة منها : هل نسير إلى الهاوية: موران إدغار، ترجمة عبد الرحيم حازم.

[5] اعتبر دوركايم عالم الاجتماع الفرنسي أن الأخلاق منظومة متصلة بالنظام الاجتماعي حيث لا ينتجها الأفراد ولا يمكنهم إلاّ أن يتبعوا الواجب الذي تفرضه سلطة المجتمع، في حين ذهب سارتر إلى كون التخلّق التزاما شخصيا يعبّر عن حرية الفرد وعدم خضوعه لي وصاية

لمزيد التوسّع في هذه المسألة يمكن العودة إلى :

- الأشكال الأولية للحياة الدينية: دوركايم إيميل: ، ترجمة غسان بديع السيد.

–الوجودية مذهب إنساني: سارتر جون بول: ترجمة وتعليق: كمال الحاج.

[6] انظر : تهذيب الأخلاق: ابن مسكوية أبو علي أحمد بن محمد ، دراسة وتحقيق: عماد الهلالي، ، وانظر: تأسيس ميتافيزقا الأخلاق: كانط إيمانويل، ترجمة عبد الغفار مكاوي، صص 113-115.

[7] انظر هنا كيف يفكّر عالم الأديان والأنثروبولوجيا مرسيا إلياد في مكانة المقدّس وفي إحتوائه للمعنى وفي تشكيله لنموذج إرشادي يحصّن البشر ضدّ الرذيلة ويدفعه نحو آفاق الحركات اللطيفة الخالية من العنف والجريمة سواء في تمثّل المقدّس من خلال الأساطير أو الأديان ، لمزيد التوسّع انظر: المقدس والدنيوس: إلياد مرسيا ، ترجمة إحسان أحمد آيت كامل الكتاب.

[8] يكشف لنا المفكّر والفيلسوف والباحث في الأديان روجي كيوا عن أثر هذه العلاقة المتينة جدا بين الإنسان والدين معتبرا أنّ العلاقة مع المقدّس لم تكن دائما ذات وجه سلبي بقدر ما تضمّنت أيضا وجها آخر إيجابي يتمثل في الأخذ بيد الإنسان ومساعدته على أن يحقّق إنسانيته خاصة في ما يتصل بتجربته المعيشة والحياتية والتي ترتكز على طرق التعامل التي تستدعي ضرورة منظومة قيمية انظر هنا تحديدا: الإنسان والمقدس: كيوا روجي:، ترجمة سميرة ريشة، صص 35-40.

[9] اعتبر الرواقيون أنّه لتحقيق التعايش بين الناس في هذا العالم ومنع اعتداء بعضهم على بعض لا يكون إلاّ بالتماثل والتشابه الكليّ في المعايير المعرفية والأخلاقية معتبرين أنّ إقامة العيش السعيد يرتبط وجوبا بالتأسيس لأخلاق عالمية يكون مصدرها العقل الواحد وأساسها الاشتراك في المخلوقية ورهانها التوافق مع الطبيعة وعدم مغالبة الأقدار

لمزيد التوسع في أسس النظرة الرواقية للأخلاق يمكن العودة إلى : الفلسفة الرواقية (سلسلة أعلام الفلسفة): أمين عثمان ، الفصل الخامس، ص ص 157-174.

[10] رغم كتاباته المتعددة في المسألة الأخلاقية تحديدا يبقى مؤلف كانط " نقد العقل العملي" النصّ المؤسس والمرجع لفهم المنظومة الأخلاقية كما يفهمها كانط ومن حيث هي مجموعة الواجبات التي ترتقي إلى درجة القانون الكلي والضروري والمنظم لأفعال الناس جميعا

لمزيد التوسع في فهم المنظورية الأخلاقية الكانطية يمكن العودة: نقد العقل العملي: كانط إيمانويل، ترجمة غانم مهني، صص 65 – 111.

[11] يعتبر هانس كونج أحد المدافعين بشدة عن فكرة الأخلاق العالمية والتي يبنيها على قاعدة التوافق بين الأديان من خلال جعلها روافد حقيقية لإنشاء منظومة قيمية تسمح بالعيش المشترك وبتحقيق أقصى درجات الأمل في تأسيس كونية رفيعة ومثمرة .

انظر: القيم الأخلاقية المشتركة للأديان : كونج هانز، الإسلام رمز الأمل. أو كتابه: مشروع أخلاقي عالمي: كونج هانز .

[12] هناك بلا شكّ محاولة للتظنّن على مشاريع الثقافة الغربية التي بمحاولاتها المتكررة للدفاع عن كمال حضارتها تقتل نفسها كما تحطّم أسوار الثقافات الأخرى، إذ عندما يدّعي الغرب أنّه يؤسّس لنهاية التاريخ انطلاقا من دفع كلّ الثقافات المحلية للنسج على منواله يكون وقتها قد فقد خصوصيته وتحوّل إلى جزء من كلّ ويحصل له " الموت العنيف" وكلّ هذا يبرز اليوم في خطابات مهاجمين لمشاريع العولمة الذي " أهلك السعي نحو الكونية في أبعادها الإيتيقية و الأخلاقية.

لمزيد التوسّع حو مسألة الدفاع عن الثقافة الغربية باعتبارها نموذجا عالميا يمكن العودة تحديدا إلى:

- نهاية التاريخ والإنسان الأخير: فوكوياما فرانسيس ترجمة رضا الشائبي، كامل الكتاب

ولمزيد النظر في أشكال التظنن والارتياب في مشاريع العولمة المرتبطة بنشر النموذج الغربي في العالم كلّه وما يتصل بها من تبعات سلبية على الغرب نفسه يمكن العودة إلى : مقال بعنوان: السلطة الجهنمية: بودريار جان، العدد 143-145 ، صص 42-43.

[13] من بين أبرز المشاريع التي تبقى حاضرة في الأذهان نذكردعوة كانط إلى التأسيس لما يسميه بجامعة الأمم (الكونفدرالية) والتي تبنى على خلفية قانون عالمي يؤسس لقيم عالمية كونية من شأنها أن تعزّز من الحرية والكرامة الإنسانية وأن تطوّر ممّا يسميه كانط قيمة الضيافة الكونية كقيمة أخلاقية رهانها الأساسي منع الحرب والتقاتل والتأسيس لحالة السلام الدائم ينعم البشر بخيراته.

لمزيد التوسع يمكن العودة إلى : مشروع للسلام الدائم: كانط إيمانويل، ترجمة عثمان أمين.

14 يمثل الإسلام رسالة رحمة وارتقاء بالمنزلة الإنسانية وهذا ما يؤكده القرآن الكريم عندما يصف الرسالة المحمدية في قوله تعالى "وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين " ومن معاني الرحمة تمكين الكائن البشري من نموذج توجيهي يصحح الفعل على قاعدة إلتزام الأخلاق بفعل الخير وعلى قاعدة عدم الاعتداء على الكون ومن فيه ، الإسلام لا يتمثل في مجموعة من العقائد أو التشريعات بقدر ما يتجلى أيضا كدعوة واسعة لنشر أخلاقية الإلتزام واحترام كرامة الإنسان وضمان حقوقه ومنع كلّ أشكال الاعتداء عليه وهو ما يعتبر نقطة جامعة بين الديانات السماوية التي تريد للإنسان أن يحي في عالم يجمع بين الخير والسعادة وأن تكون حياته الدنيوية المتصلة بالفضيلة دربا مؤديا إلى مكانته الرفيعة في العالم الحاضر

لمزيد التوسع في فهم علاقة الإسلام وباقي الأديان والمسألة الأخلاقية يمكن العودة إلى:

- المشترك بين الأديان والفلسفة: الخشت محمد عثمان كامل الكتاب
- مقال بعنوان: الأخلاق الكونية قراءة في كتاب المشترك بين الأديان والفلسفة لمحمد عثمان الخشت:كيشانة محمود ، بمجلة ذوات، العدد 46، سبتمبر 2022م..

[15] رواه أحمد في مسنده والبخاري في كتابه" الأدب المفرد" (المسند: الإمام أحمد بن حنبل، مسند أبو هريرة، حديث رقم 8952، 513/14، البخاري على بن إسماعيل: الأدب المفرد، باب حسن الخلق، حديث رقم 273، ص 143.)

[16] رواه أبو داود والترمذي (السنن: أبي داود، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، حديث رقم 4682، 220/4. السنن: الترمذي، باب ما جاء في حقّ المرأة على زوجها، حديث رقم1162، 458/3)

[17] انظر هنا تحديدا مضمون الحوار الذي أجراه حسين نصر مع مجلة الاستغراب حول نتائج العلمنة وتأثيراتها السلبية على الثقافة الغربية – حوار أجراه حامد زارع مع حسين نصر صص 45-46.

[18] نحن لا نرى في القواعد الأخلاقية الإسلامية إلزاما أو إكراها أو ضغطا على الكائن البشري أو تعارضا مع طبيعته وفطرته الأصلية الدالة على طيبته وخيريته بقدر ما نرى فيها نداء أو تمثلا طوعيا لنموذج أو اتباعا غير مشروط لقدوة أو شخصية رفيعة السلوك كمثل اتباع النصارى لعيسى عليه السلام طواعية واختيارا، أو التزاما بنهج يوسف في الإصلاح أو طريقة إبراهيم في الحجاج أو علوّ مقام محمد عليه السلام في تجسيده لقيم الصدق والأمانة والتسامح، إنّ كونية --الأخلاق الإسلامية تتجلّى في طابعها المفتوح المتمثل في الاعتراف بأخلاقية الأمم الماضية وإدماج هذه الأخلاقيات ضمن نسق كليّ تنهض به الرسالة الخاتمة

لمزيد التوسّع في فهم الطابع المفتوح للأخلاق من جهة كونها نداء لا واجبا كليّا ملزما يمكن العودة هنا إلى:

- منبعا الأخلاق والدين: بارغسون هنري، صص 88-100.

[19] حملت وثيقة المدينة عند هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب قيم التعايش وضرورات الالتزام لحماية هذا التعايش وارتبطت بمقصد هو تقعيد الحياء الاجتماعية وتدبيرها مع مراعة الفوارق الثقافية بين مكونات المجتمع، ولكن الأساس الأعظم لقيام المجتمع في المدينة كان أخلاقيا يرتكز على مبدأ المؤاخاة الذي يتجاوز في تقديرنا مقتضيات المواطنة كما يتصورها الفكر السياسي الحديث والمعاصر

قائمة المصادروالمراجع:

- باللغة العربية

1. القرآن الكريم (برواية حفص عن عاصم)
2. الأخلاق الكونية قراءة في كتاب المشترك بين الأديان والفلسفة لمحمد عثمان الخشت:كِيشانة محمود مقال نشر بمجلة ذوات، العدد 46، سبتمبر 2022م.
3. الأشكال الأولية للحياة الدينية: دوركايم إيميل: ، ترجمة غسان بديع السيد، دار الفرقد للنشر والتوزيع بيروت لبنان، ط 1 ، 2025م.
4. الإنسان ذو البعد الواحد: ماركوز هربرت: ، ترجمة جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب بيروت، ط 3 ، 1988م.
5. الإنسان والمقدس: كيوا روجي:، ترجمة سميرة ريشة ط1 ، المنظمة العربية للترجمة بيروت لبنان 2010م .
6. تأسيس ميتافيزقا الأخلاق: كانط إيمانويل، ترجمة عبد الغفار مكاوي، منشورات الجمل بغداد بيروت، ط 1 ، 2002م.
7. تهذيب الأخلاق: ابن مسكوية أبو علي أحمد بن محمد ، دراسة وتحقيق: عماد الهلالي، منشورات الجمل بغداد، ط 1، 2011م،
8. السلطة الجهنمية: بودريار جان، منشور في مجلة الفكر العربي المعاصرالعدد 143-145 .
9. الفلسفة الرواقية (سلسلة أعلام الفلسفة): أمين عثمان ، ط 1 مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة مصر ، 1364 هـ ، الفصل الخامس.
10. القيم الأخلاقية المشتركة للأديان : كونج هانز، الإسلام رمز الأمل، ط 1، دار الشروق بيروت لبنان 2007م،
11. المشترك بين الأديان والفلسفة: الخشت محمد عثمان ، ط دار غريب القاهرة 2011م،
12. مشروع أخلاقي عالمي: كونج هانز، ط 1 ، دار صادر للطباعة والنشر بيروت لبنان 1998م.
13. مشروع للسلام الدائم: كانط إيمانويل، ترجمة عثمان أمين، نكتبة الأنجلومصرية ط 1، 1952م،

14. المقدس والدنيوس: إلياد مرسيا ، ترجمة إحسان أحمد آيت ط 1 ، دار الحوار للنشر والتوزيع سورية ط 1 ، 2018م.

15. منبعا الأخلاق والدين: بارغسون هنري ، ترجمة: عبد الدائم وسامي الداوبي، ط 1 ، دار الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971م.

16. نتائج العلمنة وتأثيراتها السلبية على الثقافة الغربية: حسين نصر، مجلة الاستغراب الصادرة ببيروت خريف 2015م، - حوار أجراه حامد زارع مع حسين نصر-

17. نقد العقل العملي: كانط إيمانويل، ترجمة غانم مهني المنظمة العربية للترجمة ط 1 ، بيروت لبنان، 2008م.

18. نهاية التاريخ والإنسان الأخير: فوكوياما فرانسيس ترجمة رضا الشائبي، مراجعة رضا الصفدي دار الإنماء القومي ط ،1، 1991م.

19. هل نسير إلى الهاوية: موران إدغار، ترجمة عبد الرحيم حازم، ط 1 ، إفريقية الشرق – الدار البيضاء المغرب 2012م.

20. الوجودية مذهب إنساني: سارتر جون بول: ترجمة وتعليق: كمال الحاج، ط 1 ، دار مكتبة الحياة، القاهرة، 20217م.

- **باللغة الفرنسية:**

21. Horkheimr+Adrnoo. La dialectique de la raison ;ed Gallimard,1ereedition ; Paris 1983 .

22. Habermas ; Morale et communication, ed Flammarien, 1 ere, Paris .